المبحث الرابع

النواهي والضوابط

لازال الإسلام يرتفع بنا ويسمو عندما يعلمنا النهج السليم الـذي نخـوض علي مقتضاه دروب الحياة، ونتعامل مع متطلبات العيش في الحياة الدنيا بشأن أي معالجة إسلامية لعباده أو معاملة، فإن الإسلام يمهد للتكليف بها، ويعد المُكلَف نفسياً مرتكزا على تقوية وبعث الجانب الإيماني ويقظة الضمير داخل الفرد حتـى يؤدي ما هو منوط به، في ظل بناء داخلي مهيأ ومعد للقيام بالعمـل عـلى الوجـه الذي يحقق المستهدف منه، وما أن يتم العمل بنجاح حتى يعـود صـدى النجـاح وأثاره على من قام بالعمل وأحسنه، وتحصيناً للنجاح الذي تحقق وحتى لا يكون سببا في غرور أو ابتعاد عن أسباب النجاح يسارع الإسلام بوضع السياج الـذي يحمي العمل الناجح، ويزيد مـن فـرص بقائـه واسـتمراره ، ذلـك الـسياج هـو مجموعة النواهي والضوابط التي تعمل على تحصين الفرد، وإعانتـه عـلى مـا قـد يطرأ عليه من مشاعر وهواجس تبعده، أو تقلل من تـأثير بنـاءه الـداخلي الـذي سبق غرسه فيه. وسوف أعرض النواهي والضوابط المنظمة للسعي على الوجـه التالي:

الضوابط والنواهي التي يتعين على الساعي الالتزام بها:

تلك النواهي التي نهى الله عنها في القرآن الكريم ومعنـى النهـي هنـا تحـريم القيام بها. ومقتضى ذلك أن الساعي يثاب إن تفاداها ويعاقب إذا أتاها، والثواب والعقاب تكفل بهما المولي عز وجل، ويكونان في الدنيا، وأيضاً في الآخـرة وهـذه النواهي محددة فيما يلي:

الإفساد في الأرض[1]:

كما سبق أن أشرت فإن نجاح الساعي في تحقيق كسب مال واستزادة في العلم والمهارة وكلاهما يجنح بصاحبه إلى الغرور والشطط والبغي وكل ذلك ينقلب إلى سلوك من شأنه الإفساد في الأرض أي إخراج الأمور عن طبيعتها، وإشاعة الخبائث وطمس الطيبات سواء بين الناس، أو مع سائر المخلوقات من المسخرات والانحراف بها عما خلقت له يعطى نتائج عكسية، لذلك ولكي يضمن الإسلام تحقيق الأهداف التي من أجلها خلقت المسخرات؛ فإنه نهى وحرم الإفساد، سواء كان الإفساد في الماديات شكلاً وجوهراً، أو في المعنويات أخلاقاً ومبادئ، وإن كان الإفساد في الماديات يصيبها بخلل في جوهرها فإن الإفساد في المبادئ والأخلاق يصيب المسخرات بخلل في طرق وأهداف استخداماتها.

وحدد الإسلام أن الفساد يقع في البر والبحر[2]؛ بسبب ما يقوم به الناس من

---

(١) الآية رقم ٢٠٥ من سورة البقرة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾.

آية رقم ٣٣ من سورة المائدة ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

آية رقم ٧٧ من سورة القصص ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِي ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

(٢) آية رقم ٤١ من سورة الروم ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

تصرفات ويعود الأمر عليهم فإذا بآثار إفسادهم تحرمهم من نعمة الاستمتاع بالمسخرات، فالإفساد إذن فعل إنساني من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان.

السعي لحرام أو بوسيلة حرام[1]:

إن المحرمات كقاعدة في الإسلام إنما تسرى على كل ما من شأنه إلحاق الضرر بالإنسان؛ لأن الأصل هو أن الله أوجد كل مخلوقاته لخدمة الإنسان ونفعه، فما لا يحقق نفعاً أو يحقق ضرراً حرم على الإنسان؛ لذلك كان من الطبيعي والضروري النهى عن السعي في الحرام، أو بوسيلة حرام، درءاً للضرر وحرصاً على سلامة السعي جوهراً وقصداً وأسلوباً.

الإضرار بالعباد وبالموجودات[2]:

مرة أخرى يحمى الإسلام مسيرة السعي من كل ما يلحق الضرر بالمتعاملين، ويعطينا الصورة المقابلة للإفساد الذي يؤدى إلى الضرر وهذه المرة يوضح لنا نوع من الأعمال التي يترتب عليه الإفساد، وإذا كان الإسلام قد أتى ناهياً عن الإضرار بالعباد فذلك أصل؛ لأن الإنسان هو الذي يقوم بالسعي وهو أيضاً

---

(١) آية رقم ٣٢ و٣٣ من سورة الأعراف ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

آية رقم ١١٥ من سورة النحل ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(٢) الآية رقم ٤ من سورة القصص ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

المستهدف بنتائجه؛ بل إن الإنسان هو الأساس في الدين، فكيف يمكن أن نتصور نظم للحياة بدون حياة، وفرع على أصل يشدد الإسلام على سلامة الموجودات وعدم الإضرار بها؛ ذلك لأنها في خدمة الإنسان، وإن لم تكن في خدمته فما معنى وجودها وغايته؟ ولأن الموجودات والعباد هما جناحي السعي فكان الحفاظ عليهما بعيداً عن الضرر لاستمرار هذا السعي استمراراً للحياة وإعمارا للأرض.

خسران الكيل والميزان[1]:

إن المعاملات في الإسلام تتم بين طرفين أو أكثر في ظل قاعدة الابتعاد عن الإضرار بالناس، فلا ضرر ولا ضرار، وتتوطد الأواصر ويسود الوئام إذا غاب الظلم وساد العدل؛ ومن ثم ينهى الإسلام عن كل ما من شأنه يؤدى إلى ظلم، هو مجلبة للعداوة والبغضاء والمشاحنة لا ينتج من ورائها إلا زلزلة استقرار دائرة المعاملات، وما لذلك من آثار ضارة بالفرد والمجتمع، ومن التصرفات المباشرة التي تدخل في نطاق الضرر هو خسران الميزان بنقصه عما هو متفق عليه بطريقة فيها الخداع، ذلك ما إذا كان مرتكب الغش بائعاً، والعكس فإن كان مشترياً يعمد إلى التلاعب الذي من شأنه زيادة ما يحصل عليه من الميزان فوق ما يستحق.

---

(١) الآية رقم ٣٥ من سورة الإسراء ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾.

الآية رقم ١ و٢ و٣ من سورة المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾

ويلحق الكيل أيضاً بالميزان، فإن استيفاء الكيل إن كان مشترياً ثم خسارته في حالة كونه بائعاً فإنه ظلم بين وافتراء لأكل مال الناس بالباطل.

والغش هو الآخر أسلوب من أساليب الظلم يحتال به الغشاش لتحقيق صالح له على حساب ضرر يسببه لآخرين، وقد جاءت أحاديث عديدة لرسول الله ﷺ ناهية عن الغش ومتبرئا صلى الله عليه وسلم من الغشاش[1].

بخس الناس أشياءهم[2]:

من صور الظلم في المعاملات هو بخس الناس أشياءهم عن طريق تقويمها بأقل من قيمتها الحقيقية في حالة أن يريد الحصول على ذلك الشيء، والعكس المبالغة ورفع القيمة الحقيقية للشيء في حالة أن يريد التصرف في هذا الشيء، ولهذا النوع من الظلم نفس الأثر السيئ في دائرة التعامل في نفوس المتعاملين أيضاً.

ثانياً : الضوابط الإضافية:

الالتزام بالنواهي[3]:

أوجب الإسلام على المتعاملين الالتزام بالنواهي، وهذا أمر طبيعي فما معنى وجود نواهي دون الالتزام بتطبيقها ، والالتزام هنا هو تطبيق صريح لضرورة

---

(١) حديث رسول الله ﷺ «من غشنا فليس منا»

(٢) آية رقم ١٨٣ من سورة الشعراء ﴿وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾

(٣) آية رقم ١١٤ من سورة آل عمران ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾.

تطابق القول مع العمل، فإن كانت النواهي قد جاءت قولاً فإن الالتزام بها وتطبيقها هو العمل الذي يجتمع به الالتزام لتحقيق مراميه.

اليقين بأن الله يرى العمل ويحاسب عليه[1]

إن استحضار الله سبحانه وتعالى وتذكره حال قيام الفرد بالسعي ويقينه بأن الله يراه، وهو الذي يسر له السعي بأن خلق المسخرات، وخلق فيه القدرات التي تعينه على القيام بالسعي، والاستفادة من نواتجه، وهو أيضاً القادر على حرمانه من ذلك، ويقين الإنسان بأن ربه يراه فيه الغناء الكامل بأن يؤدى الإنسان الأعمال في الإطار الصحيح وبالوسيلة الصحيحة لتحقيق صالحه في الدنيا والآخرة.

(١) آية رقم ٧٤ من سورة البقرة ﴿...وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.
آية رقم ٩٤ من سورة النساء ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.
آية رقم ٩٤ من سورة التوبة ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.